وما سواها (393)

الوطـــــن والوطنيـــــة!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

الوطن هو المكان الذي ينتمي إليه الإنسان ويحن , فهو الأرض التي ولد فيها وترعرع , وعاش أهله وأجداده.

والوطن من كلمة "وَطن" أي أقام وإستقر , والوطن الحضن الذي يضم أبناءه جميعا , وهو الكرامة , والفكرة التي نحملها في ضمائرنا وندافع عنها بأرواحنا.

والوطنية تعمل ولا تتكلم.

والوطنية تعني الإخلاص والإنتماء للوطن , والحرص على خدمته والدفاع عنه , والعمل على رفعته وتقدمه , وبناء المجتمع وإحترام القوانين , والحفاظ على الإستقرار والإلتزم بالحقوق والواجبات.

وهذه بعض التفاعلات مع الوطن والوطنية:

أولا: حبيبهم وطنهم!!

يقولها الكثيرون من أبناء البلدان المنكوبة بأسباب القوة التي فيها , وتجدهم يتفاخرون عندما يجاهرون بها , ويعلنونها بصراحة أن الوطن في خبر كان وأخواتها , والجيب وطن , وأصحاب الجيوب الجشعة هم الفائزون.

وما أكثر الجيوب التي تحقق تعبأتها بأموال البلاد والعباد , بغير مسوّغ ولا سبب مشروع , وإنما أموال منهوبة توضع في جيوب مثقوبة , ويتحول أصحابها لأعوان الشر والعدوان.

فهم "يلفطون" (يأخذون ما تطاله أيديهم) , وبألسنتهم يتهكمون , وما هم إلا يكذبون وينافقون , ففي قرارة أنفسهم أن جيوبهم أوطانهم ودينهم , وما أكثرهم وهم بين المساكين والمقهورين يسرحون ويمرحون , ويحسبون ما يأتيهم رزقا من ربهم الذي لا يعبدون!!

هذه من عجائب السلوك في بعض المجتمعات , المبتلاة بالفساد المؤدين , والمشرعن بفتاوى الشياطين , والموالين لأعداء البلاد والدين.

فكم منهم "يلحفون" و"يلهفون" , ويتظاهرون بغير ما فيهم, وقد خبروا أساليب النفاق والخداع والتضليل.

ومن أمثالهم الذين يتبجحون بعدم الرضى على ما يحصل في البلاد , وما يعانيه المواطن من العوز والمرارة , وهم بجشعهم وتخمتهم يختنقون , ولا يأبهون لأنين وشكاوى المظلومين المنكوبين بهم.

وعندما تقترب منهم وتدوس على العصب الحساس , أو على أنبوب إمدادهم بالمال , تكتشف جوهرهم , وتعرف معدنهم , فهم من أشد المدافعين عن الذي يمدهم بما لا يستحقون من المال المنهوب من الشعب , المتضور من الوجيع والحرمان من أبسط حقوق الإنسان.

وبموجب ذلك فاللعبة مستمرة , لأنها ذات مشجعين كبار , ومساندات متنامية وبقدرات لا محدودة , ما

الوطن هو المكان الذي ينتمي إليه الإنسان ويحن , فهو الأرض التي ولد فيها وترعرع , وعاش أهله وأجداده

الوطنية تعني الإخلاص والإنتماء للوطن , والحرص على خدمته والدفاع عنه , والعمل على رفعته وتقدمه , وبناء المجتمع وإحترام القوانين , والحفاظ على الإستقرار والإلتزم بالحقوق والواجبات

حبيبهم وطنهم!!
يقولها الكثيرون من أبناء البلدان المنكوبة بأسباب القوة التي فيها , وتجدهم يتفاخرون عندما يجاهرون بها , ويعلنونها بصراحة أن الوطن في خبر كان وأخواتها , والجيب وطن , وأصحاب الجيوب الجشعة هم الفائزون

وعندما تقترب منهم وتدوس على العصب الحساس , أو على أنبوب إمدادهم بالمال , تكتشف جوهرهم , وتعرف

دام الوطن غنيمة , وعلى ضوء ذلك تم تشريع إقامة المؤسسات الريعية المؤدينة , لأنها ترى أن ما في الأرض ملك مشاع , ولكن لها لوحدها من دون أبناء الشعب.

لعنة ما بعدها لعنة على المتاجرين بالدين , والذين أصبحوا أثرياء الدنيا , ومن حولهم الناس في قهر ووجيع فظيع.

فأين الرحمن الرحيم؟!!

معدنهم , فهم من أشد المدافعين عن الذي يمدهم بما لا يستحقون من المال المنهوب من الشعب , المتضور من الوجيع والحرمان من أبسط حقوق الإنسان

ثانيا: لا وطن بلا حكومة وطنية!!

الكلام عن الوطن لا قيمة له ولا معنى عندما تغيب الحكومة الوطنية , وتتسلط الطائفيات والمذهبيات والمليشيات , والتابعين لقوى عليها أن تنفذ أجندات تخدم مصالح الآخرين ولا تعنيها مصالح المواطنين.

الوطن لكي يكون وطنا يجب أن تكون فيه حكومة وطنية , ذات منطق وطني ورؤية وطنية , وتصور وطني جامع ومحافظ على المصالح المشتركة.

الوطن سلوك يومي متراكم ما بين أبناء الشعب أجمعين بكافة مسمياتهم وتنوعاتهم , فالمقياس الأساسي هو المواطنة , وكل مسمى يأتي بعدها , فلا مسمى يتقدم على المواطنة.

هذا هو المبدأ المعمول به في أوطان الدنيا المعاصرة , فلا يعنيها أي توصيف آخر مهما تنوع وتعدد , فتجدها حاضنة أمينة للإنسان الذي هو هدفها ورسالتها السياسية والمبدئية والعقائدية , وعدا ذلك يحسب خارجا عن تيار الحياة الحرة الكريمة.

أما المجتمعات التي تتسيّد فيها مسميات أخرى فالوطن ضمير مستتر تقديره هو , أو أنه ماضٍ مبني للمجهول , ويحصل فيها تصارعات في مستنقعات الضياع والخسران والمصير المهين.

وتبرز العناصر المتاجرة بكل شيئ , فتنتفي الأخلاق والقيم والمعايير , ويُهزم العقل ويُستهان به ويُحسب عاهة ومرض ومن المحرمات , وتستشري آفات التناحر والتفاعلات المريضة الهادفة إلى تدمير ما يتصل بالوطن من معاني ومميزات.

وينهض في المجتمع كل أثيم يتاجر بدين يدعيه ويفتريه , ويستخدم أنبل القيم والمبادئ لتتمرير نوازع أمارة السوء التي فيه , فيضلل الناس ويخدعهم ويستعبدهم ويروعهم , ويوهمهم بأن الدين كراهية وعدوان وبغضاء ودمار لِما هو وطني وإنساني.

والعجيب أن الناس تتبع وتقبع ولا تفعّل عقولها , وترى ببصيرة وتتفكر , وتتساءل عن الأفك المبين الذي يعصف في المنابر , ويدوي في محطات التلفزة ووسائل الإعلام المسخرة لتدمير البلاد والعباد.

لماذا الخنوع المرير؟

لماذا الإستماع للمنتقمين من الوطن والدين؟

لماذا لا يرى الناس بعين العقل , فهل أن الدين عداء وكراهية وبغضاء؟!!

على الجميع أن يتساءل عن معنى الدين لكي يكونوا في الصراط الأمين!!

الكلام عن الوطن لا قيمة له ولا معنى عندما تغيب الحكومة الوطنية , وتتسلط الطائفيات والمذهبيات والمليشيات , والتابعين لقوى عليها أن تنفذ أجندات تخدم مصالح الآخرين ولا تعنيها مصالح المواطنين

الوطن سلوك يومي متراكم ما بين أبناء الشعب أجمعين بكافة مسمياتهم وتنوعاتهم , فالمقياس الأساسي هو المواطنة , وكل مسمى يأتي بعدها , فلا مسمى يتقدم على المواطنة

أما المجتمعات التي تتسيّد فيها مسميات أخرى فالوطن ضمير مستتر تقديره هو , أو أنه ماضٍ مبني للمجهول , ويحصل فيها تصارعات في مستنقعات الضياع والخسران والمصير المهين

لماذا الخنوع المرير؟

لماذا الإستماع للمنتقمين من الوطن والدين؟

لماذا لا يرى الناس بعين العقل , فهل أن الدين عداء وكراهية وبغضاء؟!!

على الجميع أن يتساءل عن معنى الدين لكي يكونوا في الصراط الأمين!!

ثالثا: وطن في بطن الحوت!!

أين الوطن؟

تساءل أحدهم وإحتار في الجواب , لكن آخر أجباه : إنه في بطن الحوت!!

ثم قال: أي حوت؟

فأجابه: حوت الأدينة!!

فعندما يكون الدين في الكرسي يبتلع الوطن , ويلغي وجوده , بأحزاب ترفع رايات الدين , وتمارس لعبة السياسة الممهورة بالنفاق والدجل والفساد والجور والإمتهان , فتقول ما لا تفعل , وتدّعي بأنها تمثل

الدين , ولا يُعرف عن أي دين تتحدث؟!!

هل دينهم مفاسدهم؟

هل دينهم دنانيرهم؟

أم متاجرة بالدين وبرموزه الأتقياء؟

يتأدينون , وعلى ربهم يتقوّلون , وبالفتاوى يحكمون , وإذا قيل لهم لا تفسدوا قالوا إنما نحن مصلحون , وهم الفاسدون المعبرون عن فقه شيطانٍ رجيم.

ولهذا غاب الوطن وتحول إلى قديد , وثريد على موائد الطامعين المتوحشين الذين يفترسون أشلاء وطن يُشوى على نيران الحرمان والأنين.

الأحزاب المؤدينة لا تعترف بوطن , وتحسبه غنيمة , وعندها ألف فتوى وفتوى , تؤنفله , وتجعله ملكا مشاعا للقادرين على إستلابه , فما فوق التراب وفيه , مجهول الملكية , ولينتفع به أصحاب الأيادي القادرة على الوصول إلى ما تمليه نفوسها الأمارة بالنهب والسلب ومصادرة حقوق الآخرين.

فالدنيا في عرس " كلمن إيده إلو" , كما يقول الأخوة المصريين , والبلاد "على حل شعرها"!!

ولله في خلقه شؤون!!

رابعا: جُنَّ وطني!!

يُقال أن إبن الخليل بن أحمد الفراهيدي , ذات يوم راح ينادي في الطرقات "جُنَّ أبي" عندما وجده يتحدث مع نفسه وبصوت مسموع , وهو يحاول إكتشاف نغمات وإيقاعات الشعر , وتأسيس منظومته العروضية الخالدة.

ويبدو أن الكثيرين منا يصرخون بأعلى أصواتهم " جُنّ وطني" , فما يجري في الواقع ضرب من الجنون المرعب , الذي يستعصي على الشفاء , فما يدور في البلاد لم يخطر على بال العباد , لا في حاضرهم ولا ماضيهم.

الدين مجهول, المذاهب في الكراسي, وغاب صوت "حي على خير العمل " وصارت "حي على شر المآسي"!!

نهب وسلب وأنفلة , والمال العام مجهول الملكية , وما ملكت أيمانكم من كل شيئ حق مباح لم تطاله يده.

بلد بلا دولة ولا هوية , والمواطن فيه رقم موضوع في خانة المحو والطرح والضرب بصفر.

حرمان من أبسط الحاجات , ومصادرة لحقوق الإنسان , وعدوان على السيادة والكرامة والحرية والحياة الآمنة المستقرة.

فكيف لا يكون الوطن مجنونا؟

وكيف لا يكون المواطن مأفونا؟

إنها إملاءات شياطين الدجل والضلال والبهتان , الداعين إلى مسيرات كل مَن عليها فان , ولن يبقى فوق التراب أنس ولا جان , فعليكم بالسمع والطاعة والرضوخ للإمتهان.

إنها حكايات الكراسي المجنونة المزينة بالأفك والرياء والعدوان , تنطق طيبا وتفعل خبيثا , وتنافق وتهين كان يا ما كان.

العروبة دخان , الوطن مدان , الشعب بلا لسان , والتبعية قانون ودستور وسلطان , فالخنوع للغير من الإيمان , والمناداة بالحق من سلوك الشيطان.

فمن هو المجنون في باحة الأزمان؟

الأحزاب المؤدينة لا تعترف بوطن , وتحسبه غنيمة , وعندها ألف فتوى وفتوى , تؤنفله , وتجعله ملكا مشاعا للقادرين على إستلابه , فما فوق التراب وفيه , مجهول الملكية , ولينتفع به أصحاب الأيادي القادرة على الوصول إلى ما تمليه نفوسها الأمارة بالنهب والسلب ومصادرة حقوق الآخرين

يبدو أن الكثيرين منا يصرخون بأعلى أصواتهم " جُنّ وطني" , فما يجري في الواقع ضرب من الجنون المرعب , الذي يستعصي على الشفاء , فما يدور في البلاد لم يخطر على بال العباد , لا في حاضرهم ولا ماضيهم

زميلي الصيني يمازحني بين آونة وأخرى قائلا : " متى ستأجرون بلادكم للصين؟" فكلما دار حديث عن الوطن وما تتداوله الأخبار يعيد سؤاله , وكنت في أكثر الأحيان أشعر بالغيرة والعزة , وأجيبه بشيئ من الإنزعاج , رغم أنه يمزح , وذات مرة قال لي: " أنا جاد في الموضوع

تخيلوا لو تم تأجير البلاد للصينيين لمدة عشرة سنوات , فماذا سيحصل؟
ستنطلق المشاريع بأنواعها ,

خامسا: وطن ناعم لا مُنعّم!!

ناعم: لين , دقيق , مسحوق

مُنعّم: ميسور العيش , حسن الحال , هادئ البال , موفور النعمة

صدق مَن قال وطن ناعم وأبى القول وطن مُنعّم , فهو مهروس منكوس وتابع خانع , تديره جمهرة من الوكلاء , المرهونين بالأسياد الكفلاء , فعن أي منعّم يريد الناس الكلام؟

أين البناء والإعمار؟

أين حقوق الإنسان؟

لماذا الخطف والقتل بلا مساءلة وكأنها عمل بطولي وطقس إيمان؟!!

أ هذا الوطن الذي يُراد وصفه بالمُنعّم؟

إنه ناعم مجروش برحى المصالح والتوافقات الدولية , ومطحون بالويلات والتداعيات الدوّارة بلا هوادة.

تحية لمن وصفه تمام الوصف , وأبى المخادعة والنفاق , وعدم الصدق في التعبير عن واقع حال مرير خطير.

الوطن لن يكون منعما , فلا وجود له في عرف القائمين عليه , وهو الغنيمة الكبرى , وما فيه مجهول الملكية , وعلى الأيادي الطويلة أن تستحوذ على ما تشاء , وتدفع حصة القائلين بوجوب ذلك.

فهل المواطن مُنعّم؟

وهل المدن يديرها المخلصون المتفانون في خدمة المواطنين؟

بلاد شذر مذر , وفئات مَن إقتدر , والعصابات قدر , والديمقراطية هذر , والحجر يردم حجر , والخراب أنتشر , والناس في رعب وحذر , فإلى أين المفر؟

هل يتغنى الناس بالوجيع والفساد قائد الظفر؟

وطن ناعم حتى الغياب والتماهي بالهباء فتذروه رياح الغضب!!

ولن يكون منعما ما دامت إرادة الطامعين تهين الحق وتعز الباطل وأهله!!

الوطن مسحوق والمواطن بلا حقوق , فحي على العقوق!!

فأين "سالما منعما وغانما مكرما"؟!!

سادسا: وطن للإيجار!!

زميلي الصيني يمازحني بين آونة وأخرى قائلا : " متى ستأجرون بلادكم للصين؟"

فكلما دار حديث عن الوطن وما تتداوله الأخبار يعيد سؤاله , وكنت في أكثر الأحيان أشعر بالغيرة والعزة , وأجيبه بشيئ من الإنزعاج , رغم أنه يمزح , وذات مرة قال لي: " أنا جاد في الموضوع"

فأغضبني , وتفاعلت معه بكلام يتوافق مع ذلك , ومرت الأيام , وتذكرت زميلي , وما كان يردده عن بلادي , ووجدته على صواب!!

فالبلاد تحولت إلى دولة فاشلة يقودها الفساد ويعشعش في أركانها السوء والبغضاء والتبعية وضياع السيادة , والفقروالخراب والدمار.

" لو كنا في بلادكم" , كان يقولها زميلي الصيني بحسرة!!

تخيلوا لو تم تأجير البلاد للصينيين لمدة عشرة سنوات , فماذا سيحصل؟

ستنطلق المشاريع بأنواعها , ويعم البناء والعمران , ولتحولت البلاد إلى دولة معاصرة مستوفية لمتطلبات البنى التحتية , ولأصبحت من الدول المصدرة للمحاصيل الزراعية والعديد من المواد الغذائية.

ولتطورت وسائل النقل فيها , وجميع الخدمات , ولتنعم الأطفال بمدارس إبتدائية تليق بهم , ولشعر المواطن بقيمته وعاش بسعادة وعرف وطنه وتمسك بترابه , وما عاد فيه تابع وخائن يتبختر ويستحوذ

ويعم البناء والعمران , ولتحولت البلاد إلى دولة معاصرة مستوفية لمتطلبات البنى التحتية , ولأصبحت من الدول المصدرة للمحاصيل الزراعية والعديد من المواد الغذائية

فهل توافقون على إيجار البلاد لمن يعرف كيف سيتدبر شؤونها؟!!

الواقع القائم يشير إلى عدم إحترام الوطن , والأنظمة التي لا تحترم أوطانها تهون وتتمرغ بالذل والتبعية والخنوع , وتفقد سيادتها وتكون عالة على أولياء أمرها , الذين تستمد قوتها منهم

الصحراء ثروة متنوعة الموارد , من العناصر النادرة إلى ما تحويه من فرص إستثمارية لمشاريع عديدة , ونحن نتبرم منها ونحسبها غير ذلك ونعاديها , وما عرفنا كيف نستفيد منها ونحولها لمصدر قوة ورفاه

منطقتنا مشمسة , وعلينا أن نتعلم مهارات تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقات كهربائية وغيرها , فلدينا مصادر غنية للطاقة , وهي منطلق الحضارة ومادتها

قيمة الإنسان تتناسب طرديا مع قيمة الوطن , وعندما يغيب

على ممتلكات الآخرين , بإسم فتاوى فقه الغنيمة والدجل والمتاجرة بالدين.

نعم لو أجرنا البلاد للصين لربحنا وربحوا من هذا الإيجار , فنحن غير قادرين على الإستثمار فيما لدينا من الطاقات والقدرات والثروات , وأكثرنا ينهبها ويودعها في بنوك أجنبية ويحرم البلاد والعباد من حقوقها الإنسانية!!

فهل توافقون على إيجار البلاد لمن يعرف كيف سيتدبر شؤونها؟!!

سابعا: إحترموا الوطن!!

الواقع القائم يشير إلى عدم إحترام الوطن , والأنظمة التي لا تحترم أوطانها تهون وتتمرغ بالذل والتبعية والخنوع , وتفقد سيادتها وتكون عالة على أولياء أمرها , الذين تستمد قوتها منهم.

وبعض علامات عدم إحترام الوطن تتلخص بما يلي:

أولا: إهمال النخلة

النخلة عانت الكثير من الشدائد منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين , وبلغت ذروة العدوان عليها أثناء الحرب العراقية – الإيرانية , وكم من بساتينها تم تجريفها , وكم أقتلع منها دون أي رأفة أو تفكير.

ثانيا: العدوان على النهر

النهران دجلة والفرات وروافدهما , أصابهما الإهمال الشديد , وتحولا إلى مكب لمياه الصرف الصحي , وتقبّحت ضفافهما , وتقلصت الملاحة في مياههما.

ثالثا: كراهية الأرض

رغم خصوبة أراضينا , لكنها أصبحت ذات ملوحة عالية , لأن الزراعة ما عادت ذات قيمة , ولابد من التمتع بالمدنية المزيفة , التي أخرجتنا من التفاعلات الضرورية لوجودنا المعافى السليم.

رابعا: الآثار

بلد يمتلك أقدم وأنفس الآثار الحضارية , ولا توجد فيه نشاطات سياحية نافعة للمجتمع , بل أن قيمة الآثار ضاعت وصارت المتاجرة بها حرفة مربحة.

خامسا: البيئة

البيئة بمكوناتها لا تخضع لتنظيم وقوانين تحميها من السلوكيات البشرية الطائشة , ولهذا فقدت بيئتنا الكثير من خواصها وملامحها المميزة.

سادسا: الصحراء

الصحراء ثروة متنوعة الموارد , من العناصر النادرة إلى ما تحويه من فرص إستثمارية لمشاريع عديدة , ونحن نتبرم منها ونحسبها غير ذلك ونعاديها , وما عرفنا كيف نستفيد منها ونحولها لمصدر قوة ورفاه.

سابعا: الشمس

منطقتنا مشمسة , وعلينا أن نتعلم مهارات تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقات كهربائية وغيرها , فلدينا مصادر غنية للطاقة , وهي منطلق الحضارة ومادتها.

ثامنا: الإنسان

قيمة الإنسان تتناسب طرديا مع قيمة الوطن , وعندما يغيب الإنسان ويتحول إلى رقم , وتصادر حقوقه ويفقد الأمن , ويتدثر بالقهر والحرمان , فاقرأ السلام على الوطن.

تاسعا: الزراعة

الزراعة عماد الإقتصاد وأس القوة , فالشعوب التي لا تقدر على إطعام نفسها تتحول إلى عالة , وتفقد قدرات التفاعل الإيجابي مع الحياة , وتنتشر فيها الصراعات البينية الإلهائية.

الإنسان ويتحول إلى رقم , وتصادر حقوقه ويفقد الأمن , ويتدثر بالقهر والحرمان , فاقرأ السلام على الوطن

الزراعة عماد الإقتصاد وأس القوة , فالشعوب التي لا تقدر على إطعام نفسها تتحول إلى عالة , وتفقد قدرات التفاعل الإيجابي مع الحياة , وتنتشر فيها الصراعات البينية الإلهائية

الإختلاط المذهبي شائع في مجتمعنا , والعديد من الأصدقاء والأقارب تزوجوا من غير مذهبهم , بل من الأكراد فالكل أبناء وطن واحد

مجتمعات الدنيا فيها تنوعات دينية وإثنية لا تعد ولا تحصى , وتعيش بألفة وسلام ومحبة معتصمة بوطنها الذي لا تفرط به , فهو وعاؤها الجامع الذي يضمها ويحافظ على مصالحها

أي دولة غربية فيها من كافة الأجناس البشرية وتعيش متآخية , لأن الدستور الوطني يجمعها والقانون ينظم حياتها , ولا شيء فوق الوطن والقانون

لماذا التشرذم والأضغان؟!! و"حب الوطن من الإيمان"!!

عاشرا:الصناعة

الوطن الذي لا يصنع يُصرَع , وتدوسه سنابك الدول الصناعية وتنتهك سيادته , وإهمال الصناعة عدوان على الوطن وتدمير لذاته وموضوعه.

حادي عشر : النفط

نعمة وطنية وفيرة تحولت إلى نقمة خطيرة , تبدد فيما يضر ولا ينفع , وتسببت بتفاعلات خسرانية مريرة , توجها الفساد المطلق والإغتنام المنفلت المشاع.

هذه بعض العوامل التي يجب النظر إليها بإخلاص , للتعبير عن إحترام الوطن والحفاظ على عزته وكرامته , وتأمين سيادته ورفعته , وبدونها يتحول إلى زنزانة ضياع.

و" حب الوطن من الإيمان"!!

أنظمة الحكم في دول الأمة , منهج حكمها أنها تبدد طاقات الشعوب المتسلطة عليها , وذلك بالإجتهاد في إبداع الملهيات اللازمة لإشغالها بهموم يومية قاهرة , تمنعها من التأمل والتفكر بحقوقها وما تقوم به الكراسي من مفاسد وإستحواذ على الثروات الوطنية.

ثامنا: الوطني والمذهبي!!

نشأنا كمواطنين متفاعلين منتمين لوطن واحد , لا نفرّق بيننا على أي سبب مهما كان , وما تداولنا في أحاديثنا موضوعات تخص الإنتماء لأي شيئ , فما تساءلنا عن المذهب والطائفة والدين , كنا كيان واحد متماسك.

زميلي محمد يسألني قبل أعوام : عملنا سوية لعدة سنوات فهل تعرف لأي مذهب أنتمي؟

وأحتار بالجواب.

نتزوج ولا نسأل عن إنتماء الزوج أو الزوجة لأي مذهب.

الإختلاط المذهبي شائع في مجتمعنا , والعديد من الأصدقاء والأقارب تزوجوا من غير مذهبهم , بل من الأكراد فالكل أبناء وطن واحد.

أحد الزملاء قال لي بأن صديقه ذات يوم هاتفه مازحا: عليك أن تطلّق زوجتك لأنها من غير مذهبك , وفقا للفتوى!!

مَن الذي أوجد هكذا تفاعلات؟

لم نعهدها قبل (2003) , إنها دخيلة ومستوردة لتدمير المجتمع وتحقيق المآرب فيه , وبمعاونة أبنائه , والطامع فيه يحدث نفسه قائلا: " سعيد مَن إكتفى بغيره"!!

هذا الشرخ المجتمعي المرسوم لتأمين الضعف وإستنزاف الطاقات , والإرتهان بالتصارعات البينية والإلهاءات اللازمة لنهب الثروات , وتوجيه الأنظار بعيدا عن حقوق المواطن , وقيمة الإنسان.

أين كنا , واين أصبحنا؟!!

مجتمعات الدنيا فيها تنوعات دينية وإثنية لا تعد ولا تحصى , وتعيش بألفة وسلام ومحبة معتصمة بوطنها الذي لا تفرط به , فهو وعاؤها الجامع الذي يضمها ويحافظ على مصالحها.

أي دولة غربية فيها من كافة الأجناس البشرية وتعيش متآخية , لأن الدستور الوطني يجمعها والقانون ينظم حياتها , ولا شيئ فوق الوطن والقانون.

فلماذا التشرذم والأضغان؟!!

و"حب الوطن من الإيمان"!!

لا يوجد صراع ديني بين أبناء الشعب الواحد , بل يتم توريط الدين كقناع لتمرير نوازع وتطلعات النفس الأمارة بالسوء الفاعلة في الذين دينهم هواهم

تاسعا: إستهلاك الطاقات الوطنية!!

أنظمة الحكم في دول الأمة , منهج حكمها أنها تبدد طاقات الشعوب المتسلطة عليها , وذلك بالإجتهاد في إبداع الملهيات اللازمة لإشغالها بهموم يومية قاهرة , تمنعها من التأمل والتفكر بحقوقها وما تقوم به الكراسي من مفاسد وإستحواذ على الثروات الوطنية.

الأوطان أوعية ما فيها , فإذا تحطم الوعاء الوطني تناثر ما يحويه , وتناحر وتنافر وتمترس بأتراسٍ يلوذ بها متوهما بأنها ستحميه.
إذا تمزقت الخيمة فلن يجد ما تحتها مَن يقيه!!

السائد في مجتمعات أضاعت أوطانها , أن الكينونات المتصاغرة تطفوا على السطح , وتنشغل بتفاعلات إستنزافية لبعضها , حتى تتمكن منها قوى ذات أطماع ونوايا كامنة

إن التحرر من منزلة الوطن , والتوهم بأن الطائفة والمذهب والعمامة أعلى منه شأنا , يعني الإنحدار في مسيرة أسفل

فالشعب مشغول ببعضه , ويئن من القوانين المفروضة عليه , القاضية بالقبض على مصيره , وتحجيم دوره , وتحويله إلى موجود بلا قيمة أو معنى , فالشعوب أرقام في عيون الحكام!!

ووفقا لهذا المنطلق , يتحقق إنهاك الشعوب وتفريغها من طاقاتها الإيجابية , وتأجيج الطاقات السلبية فيها , اللازمة لتأمين الإنشغال والتفاعل التصارعي بين أبناء الوطن الواحد.

ومن أفظع أساليب الإلهاء والإستهتار بالوجود الإنساني للشعوب , إستعمال الدين كوسيلة للتدمير الذاتي والموضوعي , والعمل بموجب معطيات الطائفية والمذهبية المقيتة , وإيهام الناس بأن الصراع ديني ومن ضرورات التقرب إلى الرب المعبود , وفي جوهره صراع سياسي , وتقاتل على الكراسي والمناصب والأطماع , والقدرة على الإستحواذ الأكبر.

لا يوجد صراع ديني بين أبناء الشعب الواحد , بل يتم توريط الدين كقناع لتمرير نوازع وتطلعات النفس الأمارة بالسوء الفاعلة في الذين دينهم هواهم.

وهكذا صارت التحزبات ذات طابع ديني , والنشاطات القائمة في المجتمع ذات توجهات مذهبية , وآليات تبعية وتقليد للذين يطمعون في البلاد والعباد , ويضعون مصالحهم فوق كل شيئ.

ويبقى المسخرون لتمرير أجندات الطامعين , يتحركون على إيقاع أوهامهم , وتصوراتهم التضليلية , وهم كالمنومين السكارى بالبهتان لحد الثمالة والغثيان.

فمتى سيستيقظ أبناء الوطن المبتلى بالمأجورين , والمنفذين لأوامر الآخرين؟

"تنبهوا واستفيقوا أيها العرب ... فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب ...

ألفتم الهون حتى صار عندكم...طبعا وبعض طباع المرء مكتسب ...

وما دماؤكم أغلى إذا سفكت...من ماء وجهٍ لهم في الفحش ينسكبُ"!!

عاشرا: إذا ضاع الوطن طغت الفتن!!

الأوطان أوعية ما فيها , فإذا تحطم الوعاء الوطني تناثر ما يحويه , وتناحر وتنافر وتمترس بأتراسٍ يلوذ بها متوهما بأنها ستحميه.

إذا تمزقت الخيمة فلن يجد ما تحتها مَن يقيه!!

أصل الحكاية في بلد الشظايا , أن الوطن تحوّل إلى ضمير مستتر تقديره مجهول , فانتشرت الأفاعي والعقارب والعظايا , وتمرّغت في ترابه وإلتهمت ثرواته , وتخندقت في كينونات تحميها من الوطن , الذي يريد أن يكون وعاءً جامعا وميدانَ تفاعل وإنطلاق لتأمين مصالح مواطنيه.

فابحثوا عن الوطن في الواقع المتحامل على الإنسان , فهل ستجدون منطقا وطنيا أو راية وطنية؟

السائد في مجتمعات أضاعت أوطانها , أن الكينونات المتصاغرة تطفوا على السطح , وتنشغل بتفاعلات إستنزافية لبعضها , حتى تتمكن منها قِوى ذات أطماعٍ ونوايا كامنة.

أوطان الدنيا فيها عشرات ومئات التنوعات المجتمعية , لكنها مسبوكة بإرادة الوطن وعزته وكرامته وسيادته , فالوطن يجمع , وما دونه يفرّق.

إن التحرر من منزلة الوطن , والتوهم بأن الطائفة والمذهب والعمامة أعلى منه شأنا , يعني الإنحدار في مسيرة أسفل السافلين.

المجتمعات التي لا تعز أوطانها بالعمل الجاد المجتهد , تفقد قيمتها وتنهار قدراتها , وتصبح فرائس سهلة للمتوثبين للفوز بوليمة دسمة منها , وتصبح فرائس سهلة للمتوثبين للفوز بوليمة دسمة منها.

فالسر في تكوين الأوطان لتأمين القوة والقدرة على البقاء العزيز , الذي تتكاتف فيه مكونات الوطن المجتمعية بأطيافها المتنوعة للذود عن وجوده.

"وللأوطان في دم كل حرٍ...يد سلفت ودين مستحق"

السافلين

المجتمعات التي لا تعز أوطانها بالعمل الجاد المجتهد , تفقد قيمتها وتنهار قدراتها , وتصبح فرائس سهلة للمتوثبين للفوز بوليمة دسمة منها

الدين لكي يحقق معانيه ومبادءه وأخلاقه عليه أن يكون في وطن , أي في وعاء مادي (إجتماعي وجغرافي)، وإلا فسيتحول إلى حالة مضادة لذاته ولعقيدته.

الأديان المجردة من الأوطان لن ترتقي بقدراتها التعبيرية إلى مستوى ما فيها , وستحيد عن رسالتها الإنسانية وتدخل في تفاعلات سلبية مع واقعها ومحيطها العام.

لو تأملنا الإسلام في بدايته , حيث الوحي يتنزل والآيات تتواصل في مكة المكرمة , والمسلمون قلة يجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى , ومضى على هذا الحال لما يقرب من ثلاثة عشر عاما , ثلاثة سرا وعشرة جهرا , لكنهم لم يكونوا قوةً ذات شأن وتأثير كبير , لأنهم تحركوا في مجتمع لا يسمح لدينهم أن يكون فيه , فهو وطن حالة معروفة

لكن المسلمين حينما هاجروا إلى

فالوطن يستوجب الوفاء من أبنائه الأحرار الميامين , فلا وطن يبقى ولا شعب يدوم , إذا عبث الفاسدون بروحه , وطعنوا قلبه بالتبعية والخنوع وتقليد الطامعين به.

فعودوا للوطن لتقضوا على الفتن!!

حادي عشر: الدين أولا أم الوطن؟!!!

قد يبدو السؤال غريبا ، والبعض ربما يعتبره نوع من التجاوز على المسلمات وإختراق لجدران المحرمات ، لكنه سؤال يفرض نفسه ويريد منا جوابا معاصرا وواضحا ، وفهما عميقا وتعبيرا دقيقا عن هذه العلاقة والإقرار بوجودها أو نفيها.

فالدين لكي يحقق معانيه ومبادءه وأخلاقه عليه أن يكون في وطن ، أي في وعاء مادي (إجتماعي وجغرافي)، وإلا فسيتحول إلى حالة مضادة لذاته ولعقيدته.

والأديان المجردة من الأوطان لن ترتقى بقدراتها التعبيرية إلى مستوى ما فيها ، وستحيد عن رسالتها الإنسانية وتدخل في تفاعلات سلبية مع واقعها ومحيطها العام.

فلو تأملنا الإسلام في بدايته ، حيث الوحي يتنزل والآيات تتواصل في مكة المكرمة ، والمسلمون قلة يجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ، ومضى على هذا الحال لما يقرب من ثلاثة عشر عاما , ثلاثة سرا وعشرة جهرا ، لكنهم لم يكونوا قوةً ذات شأن وتأثير كبير، لأنهم تحركوا في مجتمع لا يسمح لدينهم أن يكون فيه ، فهو وطن حالة معروفة.

لكن المسلمين حينما هاجروا إلى المدينة إستطاعوا أن ينطلقوا بالدين بقوة وسرعة إيمانية فائقة كأنه ضياء الشمس عند الصباح ، لأنهم أسسوا وطنا لدينهم ، فالمدينة المنورة صارت وطن الإسلام الذي إنطلق منه بقوة متواصلة , وطاقة متنامية إلى الدنيا بأسرها , فإمتزج الدين بالوطن (المدينة)، وصار الدفاع عن المدينة دفاعا عن الدين .

ووفقا لهذا التفاعل بين الوطن والدين ، تحقق الإنتصار في المعارك التي قامت آنذاك ، وكانت معركة الخندق التي حفر فيها خندق حول المدينة ، لأنها وطن الدين الجديد ، والذود عنها ذود عن الدين.

وتخيلوا ماذا سيحصل لو أن الدين فقد وطنه (المدينة).

إن سر إنطلاق الإسلام السريع تمكنه من بناء الوطن الثابت , الذي فيه عبر عن مبادئه وقيمه , وترجم القرآن أفعالا واضحات وسننا تامات.

فالدين لكي يتحقق ويعبر عن قدراته الروحية والأخلاقية والإجتماعية بحاجة لوطن ، وبدون الوطن لا يمكن للدين أن يجسد معانيه ويترجم مفاهيمه , والتعبير عن جوهره.

فالوطن يأتي أولا والدين ثانيا ، لأن الوطن يمنح الدين قوة الصيرورة الكبرى ، والدين بلا وطن يعني ضعفا وتمزقا وإنهيارا لعناصر القوة والإقتدار.

ولهذا كان القول " حب الوطن من الإيمان" أي أن تكون مؤمنا صادقا وحقيقيا ، يجب أن تجسد معاني وأصول حب الوطن , لأن قوة الوطن تعني قوة الدين.

وفي مجتمعاتنا ، ترى أن ضعف الأوطان تسبب بضعف الدين ، وما يحصل اليوم من مواقف وتفاعلات سلبية تجاه الدين ، بسبب ضعف الأوطان وفقدان قدرات تقرير المصير والإنطلاق المعاصر المفيد.

فقوة الدين من قوة الأوطان ، وعندما كانت أوطان الدين قوية ومتطورة ، كان الدين منيرا ساطعا ومؤثرا في مسيرة الحياة الإنسانية.

والمثل الواضح الذي تعيشه بعض المجتمعات ، هو أن الدين لم يكن فوق الوطن وحسب ، وإنما المذهب صار فوق الوطن والدين ، مما أدى إلى تحويل الدين إلى أداة ضارة بالمجتمع ، وتسبب

المدينة إستطاعوا أن ينطلقوا بالدين بقوة وسرعة إيمانية فائقة كأنه ضياء الشمس عند الصباح ، لأنهم أسسوا وطنا لدينهم ، فالمدينة المنورة صارت وطن الإسلام الذي إنطلق منه بقوة متواصلة , وطاقة متنامية إلى الدنيا بأسرها , فإمتزج الدين بالوطن (المدينة)، وصار الدفاع عن المدينة دفاعا عن الدين

إن سر إنطلاق الإسلام السريع تمكنه من بناء الوطن الثابت , الذي فيه عبر عن مبادئه وقيمه , وترجم القرآن أفعالا واضحات وسننا تامات

الدين لكي يتحقق ويعبر عن قدراته الروحية والأخلاقية والإجتماعية بحاجة لوطن ، وبدون الوطن لا يمكن للدين أن يجسد معانيه ويترجم مفاهيمه , والتعبير عن جوهره.

الوطن يأتي أولا والدين ثانيا ، لأن الوطن يمنح الدين قوة الصيرورة الكبرى ، والدين بلا وطن يعني ضعفا وتمزقا وإنهيارا لعناصر القوة والإقتدار

في مجتمعاتنا ، ترى أن ضعف الأوطان تسبب بضعف الدين ، وما يحصل اليوم من مواقف وتفاعلات سلبية تجاه الدين ، بسبب ضعف الأوطان وفقدان قدرات تقرير المصير والإنطلاق المعاصر المفيد

بتداعيات خطيرة ، لأن الوعاء اللازم لرعاية الدين والمذهب قد تكسر .

وفي وعاءٍ محطم لا يكون الدين قويا وسليما ومعبرا عن مبادئه وأخلاقه وقيمه ، وإنما سيتكسر مثل الوعاء الذي هو فيه.

وهكذا ترانا في مأزق الحطام المتواصل ، والتداعيات المتوالدة ، ولن نحقق سلوكا مذهبيا مفيدا ودينا نافعا من غير الإقرار بالوطن أولا ، وترميم ما تحطم من معانيه ومواصفاته ، والتأكيد على أن الوطن يبقى أولا وكل ما فيه يأتي بعد ذلك.

فعزة الأوطان وقوتها تعني عزة وقوة أهلها ، وهذا يمثل عزة وقوة كل ما فيهم وعندهم من معتقدات وآراء وتصورات وأفكار وتوجهات.

إن إنقلاب الحالة في بعض البلدان تسبب بمرارة التداعيات , وتورط الجميع في وحل الصراعات , والدخول في المتاهات والإمعان في الخدر المروع .

فالدنيا تتسارع في خطوها نحو العلى ، والبعض يتدحرج إلى السفول وقيعان الحضيض , وكأن المذهب والكرسي والحزب وطن , والوطن يصرخ من هول آلام مباضع التائهين.

فاجعلوا الوطن أولا لكي يكون دينكم أقوم ، فترضى عنكم السماء , وتشيدون سعادة الإنسان فتعرفون الله!!

قوة الدين من قوة الأوطان ، وعندما كانت أوطان الدين قوية ومتطورة ، كان الدين منيرا ساطعا ومؤثرا في مسيرة الحياة الإنسانية

الدنيا تتسارع في خطوها نحو العلى ، والبعض يتدحرج إلى السفول وقيعان الحضيض , وكأن المذهب والكرسي والحزب وطن , والوطن يصرخ من هول آلام مباضع التائهين

اجعلوا الوطن أولا لكي يكون دينكم أقوم ، فترضى عنكم السماء , وتشيدون سعادة الإنسان فتعرفون الله!!

وفي الختام

لكل مخلوق موطنه , فالأطيار لها أعشاشها , وغيرها عندها أماكنها التي تحرسها وتذود عنها , فالإنتماء للمكان غريزة فاعلة في المخلوقات , ولا يشذ عنها البشر , والحرص على الوطن من البديهيات السلوكية الشاملة للموجودات كافة.

فهل وجدتم طيرا يخون عشه , أو يتنازل عنه؟

إنها إرادة الحياة وديدن البقاء والتواصل فوق التراب.

ترى لماذا رددنا نشيد "موطني" في مراحلنا الدراسية؟!!

و"وطنٌ تشيده الجماجم والدم"....تتقدم الدنيا ولا يتقدم!!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa393-260725.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2025 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن عشر)

الشبكة تدخل عامها 25 من التأسيس و 23 على الويب

25 عاما من الكدح... 23 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2024
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2024.pdf